الموحد

shwaihy
28-8-2010

تعقيبات

بقلم
سعيد الديوه جي
الموصل ـ محافظة نينوى

ـ ١ ـ
الروض النضر في ترجمة ادباء العصر

لعصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري الدفتري
١١٣٤ ـ ١١٨٤ هـ

حققه ونشره
الدكتور سليم النعيمي
مطبعة المجمع العلمي العراقي
الجزء الاول سنة ١٩٧٤
الثاني والثالث ١٩٧٥

كان القرن الثاني عشر للهجرة من ازهى العصور التي مرت على مدينة الموصل ، لما قامت به بعض الاسر الموصلية من تعضيد العلم وتسهيل نشره ، فشيدوا المعاهد العلمية من مدارس ودور حديث ودور قرآن ، وفي كل معهد خزانة كتب . وأوقفوا لها ما يكفل استدامتها والنفقة على من يعلم ويتعلم فيها ، فازدهر العلم والادب والف أبناؤها عدة كتب تؤرخ لهذه الفترة ، ومن نبغ فيها من أهل العلم والفضل ، وفي خزائن الكتب عدة مؤلفات منها تبحث عما كانت عليه الموصل من تقدم وازدهار ، وجدير بنا ان نسعى في نشر هذه الكتب ، لتكون مرجعا سهل التناول لمن أراد الاطلاع والاستفادة منها .

ومن الكتب التي نشرت عن هذه الفترة :

١ ـ غرائب الاثر في حوادث القرن الثاني عشر . لياسين بن خير الله الخطيب العمري ـ ١٢٣٢هـ ، نشره الدكتور محمد صديق الجليلي ـ الموصل ١٩٤٠ م .

٢ ـ منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ـ لنفس المؤلف ـ حققته ونشرته ـ الموصل ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

٣ ـ الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ـ لنفس المؤلف ـ حققه وهذبه السيد رجاء محمود السامرائي بغداد ١٩٦٦ .

٤ ـ زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية ـ لاصل لياسين العمري . اختصره الدكتور داؤد الجلبي ، حققه ونشره الاستاذ عماد عبدالسلام رؤوف ـ بغداد ١٩٧٤ .

٥ ـ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ـ لمحمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري ـ ١٢٠٣ هـ ، وهو خير كتاب يبحث عن هذه النهضة ، ويترجم لاهل العلم والفضل والادب ، وقد اعتمد عليه الدكتور سليم النعيمي في مقدمة الكتب التي نقل عنها في تحقيق كتاب « الروض النضر » ـ حققته ونشرته ـ الموصل ١٣٨٦هـ ١٩٦٧ م .

وساهم الدكتور سليم النعيمي في تحقيق « الروض النضر في ترجمة ادباء العصر » ـ لعصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري الدفتري ١١٣٤ هـ ـ ١١٨٤ هـ وطبع الكتاب بمساعدة

المجمع العلمي العراقي ، وفي مطبعة المجمع . والكتاب يترجم لادباء من الموصل وغيرها ، وفيه من آثارهم ما يفيد الباحث . ولاحظت فيه بعض القضايا يمكن الاستدراك عليها اتماما للبحث وخدمة للحقيقة ، فأقول :

١ ـ أما المؤلف فمشهور : أبو النور عصام الدين عثمان بن علي العمري الدفتري . وشهرته بالدفتري عرف بها ، والذين ترجموا له ذكروه بعنوان عثمان الدفتري لانه تولى دفترداريه بغداد ـ لذا كان من المستحسن ان يضيف الى أسمه شهرته هذه التي عرف بها(١) .

جاء في (١) : ٣ـ٥ عن قدوم العمرية الى الموصل : « أن أول من قدم الموصل من العمرية الحاج قاسم بن علي بن محمد بن الحسين ، وهو من سلالة عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد قدم الحاج قاسم الى الموصل مع ولده علي ، ولا نعرف على وجه التحقيق تاريخ قدومه . » ونقل الدكتور أن قدومه من دمشق ، وأن القس سليمان الصائغ يذكر في كتابه تاريخ الموصل : انه قدم من مكة المكرمة . ونقل عن القس سليمان أيضا أن سبب قدومه : « لبثت الموصل بعد التحاقها بالبلاد العثمانية مدة غير يسيرة في ادارة مضطربة ، وغير مطردة للفوضى الحال وسوء أخلاق بعض أهاليها ، فرات الحكومة العثمانية خير وسيلة كافلة لتقويم أود الاهالي ، واصلاح هذا الخلل الفاشي أن تسير معهم على مبادىء الرفق واللين من غير سفك دماء وقتل رجال ، ولا استعمال عنف وشدة ، بل بالتثبت بوسائط الانذار والارهاب ، ومن ثم ارتأت أن تسكن في الموصل بعضا من أهل الشرف والتقوى ، وصدرت الارادة السلطانية بجلب ذاتين محترمين من أشراف السادة والعمرية القاطنين في الحرمين الشريفين ، لانذار الاهالي ، فدعي السيد عبدالله الاعرجي الحسيني من المدينة المنورة ، ودعي الحاج قاسم العمري من مكة المشرفة ، فسكن السيد عبد الله في المحلة الواقعة في شمال الموصل ، وتعرف « بمحلة السادة » ، وسكن الحاج قاسم العمري في المحلة المسماة باب العراق في جنوبي الموصل ، وتعرف أيضا بمحلة الشيخ محمد » .

والذي أقوله : أن العمرية كانوا في الموصل منذ القرن الثالث للهجرة ، ومنهم أحد محدثي الموصل ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب الموصلي، المتوفي سنة ٣٠٦هـ ، قال عنه الخطيب البغدادي: «كان محدثا ثقة ، قدم بغداد وحدث بها ، وترجم له أبو زكريا الازدي في كتاب طبقات العلماء والمحدثين من أهل الموصل»(٢) .

ومن العمريين في الموصل : خواجة محيي الدين زوج بلكا ملك خاتون بنت الامير يوسف ، وهو ممن أوقف للسيد سلطان عبدالله ، وأوقف له أيضا عبدالرحمن بن الشيخ محمد بن خواجة محيي الدين الفاروقي الموصلي سنة ٧٨٠ هـ ـ(٣) وعليه فالحاج قاسم لم يكن أول العمريين الذين قدموا الموصل .

أما قدوم الحاج قاسم فقد ذكر عنه احمد عزت باشا العمري : أنه ورد من الشام الى الموصل في حدود سنة التسعمائة والسبعين ، وعمر بها الجامع الموجود اليوم المشهور بجامع العمريه(٤) .

وأما سبب قدومه : فلم يكن لاضطراب الادارة والفوضى وسوء أخلاق بعض أهل البلد ـ كما نقل عن القس سليمان ـ وانما كان لغرض سياسي : ذلك أن الصفويين حاولوا الاستيلاء على هذه البلاد، وجرت لهم حروب مع الدولة العثمانية ، واتخذ الطرفان لنزاعهما صبغة دينية(٥) .

فسعى العثمانيون بفتح المدارس لتدريس الفقه الحنفي ، واستقدموا العلماء الاتقياء الذين يتبعون هذا المذهب ، ليعززوا مكانتهم في البلد ، ومنهم الحاج قاسم العمري ، فقد ذكروا عنه : كان واحد وقته زهدا وعلما وورعا ، وكان غنيا متمولا ، كثير الخير والصدقة ، وله جاه كبير عند الملوك والامراء(٦) . فاستقدمته الحكومة

---

(١) انظر : منهل الاولياء : (١ : ٢٣٢) ، غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام (ص : ٣٤٣) ، زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية (ص : ١١٩) .

(٢) تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي (٦:١٢٢ـ١٣٢) .

(٣) جوامع الموصل ـ لسعيد الديوه‌جي (١٢٩ـ١٣٠) مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل ـ نقولا سيوفي ـ حققه سعيد الديوه‌جي ببغداد ١٩٥٦ (ص : ٣٠) .

(٤) العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية ـ مصر ١٣٠٤ (ص : ٤٦ ـ ٤٧) .

(٥) دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء ـ الشيخ رسول الكركوكلي ـ نقله عن التركية موسى كاظم نورس بيروت (ص:١٧) حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ـ عبد الرحمن السويدي (١:٩٤ـ٩٥) .

(٦) ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ـ احمد بن الخياط الموصلي حققته ونشرته الموصل ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م (ص:١٠) ، منهل الاولياء (٢:١٥١) .

العثمانية الى الموصل لتستفيد منه في نشر هذا المذهب .

أما السيد عبدالله الاعرجي ، فلم يكن معاصرا للحاج قاسم العمري . وبينهما قرون ، فكيف خفي هذا على المحقق .

ان السادات الذين سكنوا الموصل منذ القرن الرابع للهجرة ، قدموا اليها سنة ٣٨٩ هـ ، وأخبارهم لم تنقطع الى يومنا هذا ، والذين هم في الموصل أحفادهم . وكان نقيب الموصل يتولى نقابة الموصل وديار بكر الى القرن العاشر للهجرة، وقام منهم رجال عرفوا بالفضل والادب والادارة، منهم :(٧)

- أبو جعفر بن الرقى العلوي الموصلي النقيب بالموصل ، ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٣٤ هـ(٨) .
- الشريف ضياء الدين ابو عبدالله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني، نقيب العلويين بالموصل المتوفى سنة ٥٦٣هـ كان جوادا رئيسا ، كثير الافضال وله شعر حسن(٩) .
- أبو القاسم المرتضى محمد بن محمد بن زيد ، نقيب الطالبيين المتوفى سنة ٦٠١ هـ(١٠) .
- كمال الدين حيدرة بن عبدالله ، كان معاصرا لبدرالدين لؤلؤ في القرن السابع للهجرة وله شعر حسن(١١) .
- النقيب نصير الدين عبيد الله بن ابي المحامد ٧١٦/... - ٨٠٢ هـ ، وهو الذي شفع في اهل الموصل عند تيمورلنك(١٢) .

ويذكر ابن بطوطة عندما زار الموصل في القرن الثامن للهجرة : كان أميرها علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر(١٣) . وغيرهم كثير .

ولو ان المحقق رجع الى بحر الانساب للسادات لاطلع على اخبارهم المتسلسلة الى اليوم.

ان مثل هذا الخبر لا يؤخذ عن لونكرك أو القس سليمان ، وانما يؤخذ عن المصادر الاولية الموثوقة ، ومنها بحر الانساب ، والكتب التي تبحث عن انساب الطالبيين كثيرة .

اما المحلة التي سكن بها العمريون فقد ذكر المحقق : « ١:٥ ويفهم من كلام الاستاذ سعيد الديوه‌جي في المقدمة التي كتبها لكتاب منهل الاولياء أن عمريين كانوا يسكنون الموصل قبل قدوم الحاج قاسم ، اذ يقول : وسكن الحاج قاسم مع العمريين الذين كانوا قرب باب الجديد . ولم يشر الى المصدر الذي اعتمد عليه ، ولم نعثر فيما رجعنا اليه من المصادر ما يؤيد قوله هذا » .

ان ماقدمته عن وجود العمرية في الموصل يؤيد ما ذكرته ، وان الحاج قاسم سكن معهم في نفس المحلة . وبنى جامعه على انقاض مسجدهم الذي كانوا قد بنوه ، واتخذ في الجامع مدفنا بجانب مدفن العمرية الذين كانوا في الموصل ، والذي دفنت فيه زوجة خواجة محيي الدين الفاروقي ، ولم يزل شاهد قبرها في الجامع مكتوب عليه : هذا قبر الخاتون المرحومة السعيدة بلكا ملك خاتون، بنت الامير يوسف زوجة خواجة محيي الدين سنة ٦٧ . (؟) .(١٤)

اما السادات فكانوا يسكنون في نفس المحلة بجانب العمرية وفي القرن الحادي عشر نقلتهم الدولة العثمانية الى شمال الموصل الى محلة الخاتونية لنزاعهم مع العمرية سنة ١٠٥٩ هـ(١٥).

فالسادات كانوا يسكنون بجانب العمرية وكانت محلتهم تسمى محلة السادة كما جاء في كثير من وقفيات الموصل .

وذكر في : (١:٧) عن علي بن الحاج قاسم العمري : « وكذلك فاننا لا نعلم عن علي بن الحاج قاسم شيئا ، سوى انه قدم مع ابيه ، ولعله توفي قبله ، اذ لم يرد له في الوقفية ذكر .

---

(٧) سومر (١٨:٩) بحر الانساب للسادات ـ نسخة منه في خزانة نقيب الموصل ، واخرى في بيت السيد جميل الفخري . وثالثة في بيت السيد عبد المجيد المتولي ـ (مخطوط) .
(٨) الكامل ـ لابن الاثير ـ مصر (٩:١٩٢) .
(٩) وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ـ مصر (١:٢٥٧) .
(١٠) بحر الانساب ـ (مخطوط) .
(١١) الفخري في الاداب السلطانية ـ ابن طباطبا ـ بيروت ١٩٦٦ (ص:٧١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي ـ بغداد (ص : ٣٦٨) .
(١٢) سومر (١٠:٢:٢٥٦) .
(١٣) تحفة النظار في غرائب الامصار ـ مصر ١٩٢٨ م (١:١٤٩).
(١٤) جوامع الموصل (ص:١٣٠) ، مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل (ص:٣٠) .
(١٥) الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون ـ لياسين بن خيرالله الخطيب العمري انظر حوادث السنة المذكورة .

أما علي بن الحاج قاسم فقد ذكره صاحب منهل الاولياء (٢:١٥٢ ـ ١٥٣) عند كلامه عن والده قال عنه : « وكان صالحا عالما أديبا فقيها له عندنا خطوط بقلمه ، وحواشي تدل على فضله وكماله، توفي في طاعون سنة ٩٩٩ هـ .

ويذكر ياسين أخوه أنه توفي في طاعون سنة ١٠٠٠ هـ قبل والده بسنة(١٦) . وعلى كل فانه توفي قبل والده بسنة واحدة او سنتين .

وجاء في (١:١٤) عند كلامه عن الجامع الذي بناه محمد امين باشا الجليلي في الموصل ، نقل عن المؤلف قوله : وكنت في سنة تحرير هذا المؤلف وهو سنة سبعين ومائة وألف ، قد أنشأت لعمارة الجامع تأريخاً، وللمنارة آخر، وهو مكتوب عليها، وأنشأت بعض نثر مسطور في الباب .

ان الكتابات التي ذكرها لم تزل في الجامع تشير أن عمارة الجامع كانت سنة ١١٦٩ هـ ، كما هو مكتوب فوق شباك المصلى وفي صدر رواقات المصلى وعلى المنارة تؤرخ بناء الجامع في السنة التي ذكرناها ١١٦٩ هـ(١٧) .

وجاء في (١:٥٠٧) عن حصار الموصل : « واستمر الحصار نحوا من ثلاثة أشهر » .

ونقل المحقق نفسه أن ابتداء الحصار كان في ٢١ رجب سنة ١١٥٦هـ ، واستمر الى ٤ رمضان من نفس السنة ، فتكون مدة الحصار ٤١ يوما لا ثلاثة اشهر .

وجاء عند كلامه عن الحاج قاسم الجليلي : « (١:٥٧٩) فانه نقل ما ذكره المرادي في سلك الدرر، ونقل عنه ما ذكره صاحب منهل الاولياء ... وقال عما ذكره المرادي عن العمري : غير أن الذي ذكره عنه لفظه عما نسبه اليه المرادي . فلم نعلم ماذا يريد بهذه الجملة ؟ .

وذكر في (١:٥١١) عن أرجوزة الشريف السيد فتح الله القادري : هو فتح الله متولي ، وسيترجم له المؤلف .

والصحيح هو فتح الله المتولي ، كان متوليا على اوقاف جامعي النبي يونس والنبي جرجيس.

وكنت قد نشرت الارجوزة التي قالها المتولي المذكور ، وعرفت بناظمها(١٨) .

اما ارجوزة السيد خليل البصير التي ورد ذكرها (ص : ٥٥٣ ـ ٥٣٦) فقد عرفنا بالسيد خليل وعلمه وشعره ، ونشرنا الارجوزة في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٣ : ٢٤٧ ـ ٢٦٤) .

وعلق في (١:٥٢٧) عند كلامه عن محمد امين باشا الجليلي بقوله : « وفي سنة ١١٨٤ هـ كان في مدينة على نهر الدنيسر ، فحاصرها الروس ، واستطاعوا ان يقتحموا سورها ، فوقع محمد امين باشا اسيرا بيدهم ومكث في الاسر خمس سنين ، حتى صار الصلح بين السلطان والافرنج » .

ان محمد أمين باشا حارب الروس في شمال رومانيا ، وانتصر عليهم ، ثم عين محافظا لمدينة « البندر » فحاصره الروس ودافع دفاعا مجيدا ، وجرح ووقع في الاسر سنة ١١٨٤ هـ ، وان الصلح كان بين السلطان والروس ـ لا الافرنج كما ذكر(١٩) .

وذكر في (١:٢٠٩) عند كلامه عن علي بن علي العمري : « قرأ العلوم على ملا عبد بن عنيدة ... سافر الى اسلامبول سنة ١١٩٢ هـ صحبة الامير يوسف أغا قابجي . ولم تطل أيامه فمات في نفس السنة ودفن بأسكوار .

والصحيح : درس علي عبد وبن غيدة .... والذي سافر معه يوسف اغا قابجي باشي ، ودفن في اسكدار كما ذكرت هذا في تعليقي على ترجمته: (منهل الاولياء : ١ : ٢٣٦) .

وعلق في (٢:٢٧٩) على ترجمة فتح الله الشريف المتولي : وبعد ان نقل ماذكرته عنه في المنهل قال : وهو صاحب الارجوزة التي ذكر معظمها صاحب الروض النضر في ترجمة الحاج حسين باشا الجليلي ، وقد وصف فيها حصار نادر شاه للموصل سنة ١١٤٦ هـ . وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤ .

أما حصار نادرشاه فكان سنة ١١٥٦ هـ ، والارجوزة لم تنشر فيمجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤ ـكما ذكرـ وانما نشرت ارجوز السيد خليل ـ سنة ١٩٦٥ م . وأما ارجوزة السيد فتح الله فقد نشرتها في منية الادباء (٢٤٢ـ٢٧١) ، ثم عثرت على نسخ مخطوطة ، فأعدت نشرها بمناسبة انعقاد مؤتمر الادباء العرب في بغداد سنة ١٩٦٥ م، باسم (ملحمة الموصل) .

---

(١٦) منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ـ لياسين العمري (ص : ١٧٣) .

(١٧) انظر الكتابات المذكورة في مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل (ص:١٢٢ـ١٢٣) وجوامع الموصل (ص : ١٨٠ـ١٨٧) .

(١٨) نشرتها كملحق في منية الادباء (ص:٢٤٢ـ٢٧١) .

(١٩) منهل الاولياء (١:١٦٨ـ١٧٤) ، ديوان حسن عبد الباقي (١١٥٧ ـ ١٢٠٦ هـ) حققه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي ـ الموصل (ص:١٠٥ـ١٠٦) .

وذكر أيضا في نفس الصفحة : « وقد أشار صاحب منهل الاولياء أن له مقامات لطيفة ، منها مقامة يهنىء بها سليمان باشا الجليلي انشأها سنة ١١٨٤هـ ،توجد منها نسخ فيخزانات بعض فضلاء الموصل » .

ان المقامة التي ذكرها المحقق لم يشر اليها صاحب منهل الاولياء ، وانما ذكرتها في تعليقي على ترجمة (المتولي) في المنهل ، وقلت في خزانة كتبي نسخة منها ، كتبها سنة ١١٨٥ هـ . كما أن صاحب المنهل لم يذكر توجد نسخ منها في خزانات بعض فضلاء الموصل . وحبذا لو أرشدنا المحقق الفاضل على النسخ الاخرى .

وعلق في (١٦٣:٢) عند كلامه عن نور الدين محمود : أول من اتخذ الحمام بالشام ، ونقل البطارق والاجناد نور الدين الشهيد .

والصحيح ان الحمام كان ينقل البطائق لا البطارق والاجناد ، وكيف ينقل الحمام الاجناد ؟ وقد التبس على المحقق ما ذكره المؤرخون أن عماد الدين واولاده من بعده اتخذوا الحمام الزاجل لنقل البطائق البريدية ، واعدوا النجابة الذين ينقلون البريد على النجب المنتخبة ، وأن نور الدين نقل الحمام الزاجل من الموصل الى الشام ومصر سنة ٥٦٥ هـ ، ليسهل عليه الاطلاع على اخبار البلاد ، بما يحمله الحمام من البطائق المرسلة ، وبما يأتيه النجابة على النجب المنتخبة(٢٠) .

وعلق في نفس الصفحة عن نور الدين الشهيد: « ولد في حلب سنة ٥١١ هـ وانتقلت اليه امارتها بعد وفاة والده سنة ٥٤١هـ، وكان تابعا للسلاجقة، فاستقل منهم ، وضم دمشق الى ملكه ، واتسع ملكه ، وكان يباشر القتال بنفسه ، موفقا في حروبه مع الصين ، توفي سنة ٥٦١ هـ » .

ان نور الدين لم يكن تابعا للسلاجقة ، وكان ابوه مؤسس الدولة الاتابكية في الموصل ، وأما وفاته فكانت سنة ٥٦٩ هـ ، وأنه لم يحارب الصين وانما حارب الصليبيين ـ كما هو معلوم . ولم يكن اميرا ، وانما كان من اكبر ملوك عصره .

وجاء في تعليقه على ترجمة الحاج احمد مسلم الشهير بأخي بابا : (٣٣٠:٢) .

وذكر من مؤلفاته : الدر النقي في فن الموسيقى وقال طبع سنة ١٣٦٤ هـ . وكان من المستحسن أن يذكر أن الذي حققها هو الشيخ جلال الحنفي عن نسخة في خزانة سعيد الديوه‌جي ، وطبعت في بغداد بمناسبة المؤتمرالموسيقي فيها سنة ١٩٦٤.

وفي (٢ : ٤٣٣) لم يعلق المحقق على ترجمة عبدالله الاصم الاربلي ، لان صاحب المنهل لم يترجمه . وقد ترجم له ياسين العمري في غاية المرام (ص : ٧٩) كما ذكره صاحب المنهل في (١٦٢:١ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

وذكر في (١٨:٢) على ترجمة الشيخ عثمان الخطيب ، فبعد ان نقل ما ذكرته عنه في المنهل وعلقت أن التواريخ مغلوطة ، قال المحقق :

« ويلاحظ أن فيما جاء في كتاب المرادي عن السنة التي حج فيها وهما ، فسنة وفاته في سلك الدرر أو فيما ذكره صاحب المنهل سابقة لسنة ١١٤٧ هـ ، كما ان الشيخ عبدالغني النابلسي قد توفي سنة ١١٤٣ هـ ويغلب على الظن انه حج سنة ١١٣٧هـ » . وهذا مانبهت عليه في حاشية المنهل (٢ : ١٨) .

وعلق في (٣ : ١٦٠) على ترجمةعثمان بن يوسف أغا . نقل عن غاية المرام ترجمة الحاج عثمان الخطيب الشهير بالاسود الموصلي . ظنا منه أنه عثمان بن يوسف أغا ، وقد التبس عليه الامر . فعثمان الخطيب الاسود هو (ابن يوسف) على ان في الموصل عثمان آخر عرف بعثمان الخطيب بن يوسف ، وترجم له صاحب المنهل (١٧٥:٢) كما ترجم له صاحب الروض النضر (١٧:٢ـ٢٨) وكان هذا شاعرا مشهورا بخطبه ، وعليه فعثمان الخطيب الاسود هو غير عثمان الخطيب . وهذا الاخير لم يسافر الى بغداد ، وصاحب غاية المرام ترجم للمواصلة الذين سافروا الى بغداد ، ولم يترجم له فيه ـ فالذي ذكره الدفتري لا يراد به كلا الخطيبين .

وعلق في (١٣:١) على قول المؤلف : « وقال صاحب رسالة الطيف . فقال المعلق يريد طيف الخيال لشمس الدين محمد بن دانيال المراغي الحكيم المتوفى سنة ٧٢٠ هـ ، طبع منها ثلاثة أجزاء صغيرة بعناية آرلنجت سنة ١٩١٠ م .

ان ابن دانيال لم يؤلف بطيف الخيال وانما عرف بباباته (خيال الظل) ، وهي روايات هزلية انتقد بها الحالة الاجتماعية التي كانت في زمنه ، وقد عرفنا به وبآثاره في مجلة الكتاب المصرية (السنة السادسة ، العدد ٦٠) وطبع بعض باباته الدكتور تقي الدين الهلالي سنة ١٩٤٨ م ، كما

(٢٠) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، للقلقشندي ـ طبع دار الكتب المصرية (١٤ : ٢٧٠) الباهر : ١٥٩ .

عرف بها ووصفها أبراهيم حمادة ـ مصر ١٩٦٣ . وتوفي ابن دانيال في ١٢ جمادي الآخرة ـ ٧١٠ هـ، لا ٧٢٠ هـ كما ذكر المحقق .

أما رسالة الطيف : فلعله أراد بها رسالة طيف الخيال ، وممن ألف بها الشريف المرتضى ٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ ، طبعت في القاهرة سنة ١٩٤٢ م، وعلي بن عيسى مجير الدين الاربلي المتوفي سنة ٦٩٢ هـ وغيرهما .

وفي (٢:٥ـ٦) عند كلامه عن ترجمة الشيخ عبدالله المدرس : فانه بعد ان نقل ما علقته على ترجمته في المنهل . قال : وترجمه محمد أمين الموصلي ايضا وقال .. فمن هو محمد أمين الموصلي ؟ وما اسم الكتاب الذي نقل عنه ـ وكنت قد نشرت ترجمة الشيخ المذكور في مجلة المجمع العلمي الكردي ـ المجلد الثاني ، العدد الثاني (ص ٢٢٢ ـ ٢٣٨) وتكلمت عن حياته ومؤلفاته .

وكان من المستحسن ان يثبت المحقق في الكتاب الكتب التي عول عليها في تحقيقه ، ويذكر اسم المؤلف ، وسنة ومحل الطبع . وان يعرف بالكتب المخطوطة التي رجع اليها ، والمحل الذي فيه المخطوط ـ ليسهل على المتتبعين الرجوع اليها .

- ٢ -

الاواصر المكينة بين الادب والطب

أحسنت ادارة المورد باصدار عددها الممتاز « العلوم عند العرب » ، وهو عدد غني بالابحاث القيمة في تراث امتنا ، وما قدمه الاجداد في مضمار الحضارة الانسانية . ومن ابحاثه القيمة ما كتبه الدكتور الفاضل مصطفى شريف العاني عن «الاواصر المكينة بين الادب والطب » وقد وفى الموضوع حقه. وبدا لي بعض الملاحظات ، وهي خواطر عسى ان تكون مصيبة ، ويكون الفضل في هذا الى الاخ الدكتور الذي اعجبت ببحثه الدقيق واسلوبه الشيق .

١ ـ ذكر في (ص : ١١) : « ثم جاء عهد الجاحظ ٧٧٥ ـ ٨٦٨م ، ١٥٩ ـ ٢٥٥هـ أبو النثر المستحدث اذ ذاك برسائله ومؤلفاته العديدة في شتى فنون المعرفة ، وله الفضل في اشاعة الثقافة اليونانية التي احتضنها الخليفة المأمون وانشأ لها بيت الحكمة لنقلها الى العربية » .

انتشرت الثقافة اليونانية وغيرها على أثر حركة النقل التي قام بها المسلمون منذ عهد الدولة الاموية ، وزاد عليها الاقبال في عهد الخليفة المنصور العباسي ، فقد كان كلفا بعلوم الحكمة خاصة في الطب والنجوم والفلك والهندسة . وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث اليه بكتاب أقليدس وبعض كتب الطبيعيات، واستقدم العلماء الى بغداد ورغبهم في نقل الكتب من اليونانية والفهلوية والفارسية والسريانية . وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى عملها(٢١) .

كما كان الرشيد مولعا بكتب الحكمة ، ولما غزا بلاد الروم بذل عنايته في الحصول على كتب الحكمة . ففي عمورية وأنقرة أمر بالمحافظة على مكاتبهما ، وانتدب العلماء النقلة من بغداد لاختيار الكتب التي يندر وجودها ، فاختاروا كتبا نفيسة في الطب والفلسفة والفلك ونقلوها الى بغداد ، وولى الرشيد يوحنا بن ماسويه المتوفي سنة ٢٤٣ هـ نقلها ، وجعل له من يساعده في ذلك ، وعلى هذا فان حركة النقل التي قام بها العرب منذ الدولة الاموية ، ثم احتضنها المنصور والرشيد قبل أن يكون المأمون(٢٢) .

فالجاحظ لم يساهم في حركة النقل عن اليونانية ولا عن غيرها ، فهو لا يعرف لغة غير اللغة العربية ، ولكنه اطلع على اكثر ما نقلوه عن الامم الاخرى ، خاصة وأنه عاش في عصر بلغ النقل ذروته ، فكان فيه أجل النقلة وأعلمهم ، فسهلوا له الوقوف على اختلاف العلوم والفنون والمعارف ، فنهل منها ، وبرز في استقصاء البحث وتحليله ، وتحكيم العقل والمنطق ، وحسن الاختيار ، وبلاغة القول ، فأبدع في عرض هذا كله بأسلوب جميل سلس يستهوى القارىء .

كما ان بيت الحكمة لم يؤسسه المأمون ـ كما ذكر الدكتور ـ وانما وضع نواته الخليفة المنصور، جمع ما نقل اليه من كتب وما ألف في خزانة كانت النواة لبيت الحكمة ، واوصى بها الى ابنه الامين ،

---

(٢١) بيت الحكمة ـ سعيد الديوه‌جي ـ الموصل ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢ م ص : ١١ـ١٢ . بحثنا في هذا الكتاب عن حركة النقل التي قام بها المسلمون ، وعن بيت الحكمة في بغداد ، وبيوت الحكمة وخزائن الحكمة ودور العلم التي انشاها المسلمون . وبالرجوع الى الكتاب يمكن ملاحظة المصادر الاولية التي اخذنا عنها .

ولم يعن هذا بكتب الحكمة لتفشي حركة الزنادقة في عصره(٢٣) .

ولما جاء هارون الرشيد (١٧٠ ــ ١٩٣هـ) وكان شغوفا بعلوم الحكمة ــ فشجع حركة النقل. وأضاف هذه الكتب الى خزانة الحكمة التي وضعها جده المنصور ، واتخذ لها دارا خاصة ، فيها عدة خزانات باختلاف العلوم والفنون والمعارف ، وبها نقلة يتولون النقل عن اللغات الاخرى ، ونساخون يشتغلون بالنسخ ، ومجلدون يعنون بتجليد الكتب وتزويقها ــ فكان في بيت الحكمة دوائر علمية منوعة، لكل منها علماؤها ومشرفون يتولون أمورها المختلفة .

كان يوحنا بن ماسويه يتولى الكتب التي أمر الرشيد بنقلها من عمورية وانقرة ، وجعله الرشيد امينا على الترجمة في « بيت الحكمة » ، وعين له كتابا يعملون بين يديه ، وأكثر الكتب التي ترجمها كانت في الطب .

وكان يشتغل في بيت الحكمة للرشيد « أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي » ، فيترجم من الفارسية الى العربية .

كما كان يعمل في بيت الحكمة من العلماء النقلة للرشيد : «أبو حسان وسلم» ، وكذا كان يترجم في بيت الحكمة «منكه الهندي» فينقل من الهندية الى الفارسية والعربية ، كما نقل « ابن دهن » عدة كتب تبحث في الطب وغيرهم(٢٤) .

فبيت الحكمة لم يكن من تأثير هذه الاشاعة الجاحظية ، ولم يؤسسه المأمون ، بل انه ازدهر على عهده بفضل ما أضافه اليه من الكتب المنقولة والمؤلفة .

٢ ــ جاء في (ص : ١١) عند كلامه عن الترجمة « فكثرت الترجمة ، وكثر المؤلفون وظهرت الفلسفة العربية الجديدة والطب العربي الجديد بفضل المترجمين عن اليونانية واللغات الاخرى الى السريانية فالعربية . ثم لم يلبث أن اخذ التراجمة بعد ان كثر عددهم وتمت معلوماتهم ، وازداد تفقههم باللغة العربية يترجمون من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية مباشرة » .

ان حركة النقل او الترجمة لم تكن على ايدي السريان فقط ، بل نجد أكثر الذين قاموا بالترجمة في الدولة الاموية وبعدها كانوا من غير السريان ،

(٢٢-٢٤) ص : ١٣-١٥ ، ٣٢-٣٣ ، نفس المصدر السابق ،

فحركة النقل التي ابتدأت على يد حكيم بني أمية خالد بن يزيد كانت على أيدي علماء من اليونان تفصحوا العربية ، كما نقل أبو سالم كاتب هشام إبن عبدالملك (١٠٥ ــ ١٢٥هـ) من رسائل أرسطاليس الى الاسكندر ، ونقل له غيره ، وأصلح هو النقل ، وكان أحد الفصحاء البلغاء .

ونقل للمنصور نوبخت المجوسي المنجم ــ وهو أبو النوبختية ــ وابراهيم الفزارى ، ومحمد بن ابراهيم الفزاري وعلي بن عيسى الاسطرلابي وابن المقفع وغيرهم ، هؤلاء النقلة لم يكونوا يعرفون السريانية ، فكانوا ينقلون من اليونانية والفارسية والفهلوية والهندية الى العربية ــ ولماذا ينقلون الى السريانية فالعربية .

فحركة النقل ساهم فيها السريان كما ساهم فيها غيرهم من العرب والفرس والهنود والاقباط واليونان ، فكانوا ينقلون الى العربية . على ان بعض السريان كانوا ينقلون الى السريانية ــ بعض الكتب ــ فالعربية .

٢ ــ وجاء في (ص : ١٥) عند كلامه عن خالد بن يزيد : (واستقدم بعض العلماء الرومان عن الاسكندرية لتدريسه العلوم ، وقد حملوا معهم مجاميع من الكتب الاغريقية والرومانية والقبطية ، وقد أمر بترجمتها الى السريانية فالعربية ، حتى ليروى أنه اول رجل في الاسلام ادخل الكتب الاجنبية العلمية الى بلاد الجزيرة العربية ...) .

والذين تكلموا عن عناية خالد بن يزيد بعلوم الحكمة وترجمتها لم يذكروا أن الكتب ترجمت الى السريانية ثم الى العربية ، وانما ذكروا أنه استعان بجماعة من فلاسفة اليونان ، ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي، وهو أول نقل كان من لغة الى أخرى .

كما أن خالد بن يزيد لم يدخل الكتب العلمية الى الجزيرة العربية ، فكان يسكن الشام وتولى حمص وتوفي بها ، لذا فهو قد ادخل الكتب العلمية بلاد الشام لا الجزيرة العربية .

وذكر أن ممن استعان بهم في النقل ماريوس الراهب ، والصحيح هو « ماريانوس » ــ وقد بسطنا القول عن علمه واقباله على النقل في رسالة لنا عنه(٢٥) .

(٢٥) الامير خالد بن يزيد ، سعيد الديوه‌جي ، دمشق ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م ، وقد بسطنا القول عن حياته ←

٤ ــ وجاء في (ص:١٥) عند كلامه عن الاطباء في عهد معاوية : (وطبب في عهد معاوية ابن اثال ، وأبي الحكم الدمشقي ، وابنه الحكم وعيسى ابن حكم الدمشقي ...) .

أما أبو الحكم فقد طبب لمعاوية ، وارسله مع ابنه يزيد عندما ولاه امارة الحج ، وادرك هذا أيام عبدالملك (٦٥ــ٨٦ هـ) ، أما ابنه الحكم فلم يكن في زمن معاوية وانما كان في أيام الدولة العباسية ، أرسله المهدي مع عبد الصمد بن علي سنة ١٥٥ هـ عندما ولاه امارة الحج ، وبين الحكم وابنه هذا ما يزيد على مائة سنة(٢٦) .

٥ ــ وجاء في (ص : ١٥) عند كلامه عن حنين ابن اسحاق العبادي : (لقد كان من طليعة الادباء الاطباء العلماء الطبيب العالم ، العربي المحتد السرياني اللغة في مهده وبيته والنصراني المذهب حنين بن اسحاق فقيه اللغات العربية والسريانية والفارسية واليونانية ، وقيل أيضا كان قد تعلم العبرية ، حرص على تعلم اللغة العربية فأتقنها في البصرة على أيدي تلامذة الخليل بن أحمد الفراهيدي . وهو ينسب الى العباد (بكسر العين) وهم قوم من النصارى من قبائل عربية شتى ، اجتمعوا في الحيرة وانفردوا بين الناس في قصور ابتنوها لانفسهم بظاهر الحيرة ، وتدينوا بدين النصرانية وقالوا نريد ان نسمي انفسنا بعبيد الله) .

والذي نقوله : كيف يكون حنين بن اسحاق السرياني اللغة في مهده وبيته ؟ فحنين من قبيلة العباد وهم قبائل عربية سكنوا قطرا عربيا ، فيكون حنين عربي الابوين والقبيلة والدار ، فكيف يكون سريانيا في بيته ومهده ؟ فهل أن تعلمه للسريانية ــ عند اقباله على العلم ــ جعله سرياني اللغة في المهد والبيت ؟ وهل كان اهله يتكلمون السريانية ، وهم عرب خلص ؟

فالسريانية كانت من اللغات العلمية كالعربية واليونانية والفارسية ، فهل أن من يتعلمها ويدرس بها يكون سريانيا في المهد والبيت وينسى لغته وقومه ــ فحنين عربي ، وتعلم عدة لغات ومنها السريانية . فكتب بها ونقل اليها ومنها ، كما نقل عن لغات أخرى ، كاليونانية والفارسية ، ولماذا يقال عنه يوناني او فارسي ، وهو يتقن اللغتين المذكورتين وترجم عنهما .

ان طلاب الجامعات في البلاد العربية يدرسون بعض العلوم في لغات أوربية : انكليزية ، فرنسية ، المانية الخ ... وربما كتب بعضهم أبحاثا في اللغة التي درس بها ، فهل يقال عن مثل هذا انكليزي أو فرنسي .. الخ .

لغة المهد والبيت والمحيط لاتنسى ولا تنكر، يتعلم المرء ما يحتاجه من لغات ولكنه يعتز بلغته واصله . فطاغور شاعر الهند الاكبر الف عدة كتب في اللغة الانكليزية ، فهل يقال عنه انكليزي ؟

والاخ الدكتور بعد ان ذكر أصل حنين من قبائل العباد . ذكر (حرص على تعلم اللغة العربية فأتقنها في البصرة على أيدي تلامذة الخليل بن أحمد الفراهيدي) .

اذن بماذا كان يتكلم اذ لم يعرف اللغة العربية لغة بيته ومحيطه الذي نشأ فيه ، ان حنين لا يحتاج الى تعلم اللغة العربية ، وانما درس قواعد اللغة العربية في البصرة لتكون كتاباته صحيحة خالية من اللحن .

فحنين عربي اللسان والدار ، تعلم عدة لغات واستعان بها في النقل ، وما نقله أو الفه من كتب ورسائل هو تراث عربي خالص ، فهو عربي تثقف ثقافة عربية ونشأ في بلد عربي ، وأنتج تراثا عربيا هو وأسرته وابن أخته حبيش بن الاعسم ــ ولا ننكر انه كان يعرف السريانية كما يعرف غيرها ، ونقل اليها بعض الكتب ، ثم نقلها الى العربية .

٦ ــ وجاء في (ص:١١) « وتطور النثر الفني ، ونشط التأليف بظهور المعتزلة واشتداد المقاومة ضد الفلسفة اليونانية ، فهرع العلماء المسلمون الى زيادة التأليف في الفقه واصوله، وظهرت كتب الحديث ... الخ » .

ظهر المعتزلة في أوائل القرن الثاني للهجرة ، ولم تكن الفلسفة اليونانية قد نقلت . كما أن

وعمله وادبه وأشرنا الى المصادر الاولية التي استعنا بها. ويمكن الرجوع اليها .

(٢٦) جاء في أخبار العلماء للقفطي ــ مصر ١٣٢٦ هـ (ص:١٢٣) عند كلامه عن الحكم : « الحكم بن أبي الحكم الدمشقي الطبيب كان في صدر الدولة العباسية ، وكان من المعمرين ... قال الحكم هذا : خرج أبي مع يزيد بن معاوية طبيبا ، وخرجت أنا مع عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس طبيبا الى مكة ، وبين وفاة يزيد بن معاوية وعبد الصمد بن علي مائة ونيف وعشرون سنة .
اما عيسى بن حكم الذي ذكره الدكتور : فهو عيسى بن الحكم المذكور وحفيد أبي الحكم المذكور .

التأليف في الحديث والفقه وأصوله وغير ذلك من أمور الدين ، ليس له علاقة بالمعتزلة ومقاومتهم التي كانت بعد هذا . وهو ما يقتضيه ضبط أصول الدين ، سواء كان المعتزلة او الخوارج أو المرجئة أو لم يكونوا . فحفظ قواعد الدين ، وتقرير أصوله وجمع الاحاديث ، ليس لها علاقة بحركة المعتزلة ومن ذلك فالامام مالك جمع الموطأ ، وقرر قواعد الفقه ، وكذا الامام أبو حنيفة وتلميذه أبو يوسف وغيرهم ، ثم توسع التأليف والجمع على مر العصور .

على ان ما ألف في الرد على المعتزلة وغيرهم أصحاب الملل والنحل والاهواء ليس له علاقة في باب الفقه وأصوله وجمع الحديث وتفسير القرآن الكريم وغير ذلك من علوم الدين . وانما وضعوا لها رسائل يؤيد بها كل جماعة ما ذهبوا اليه ، ويردون على من عارضهم في أقوالهم ــ وأكثر ما تكون هذه في الكتب والرسائل التي تبحث عن الملل والنحل وغيرها وهي لا تحتاج الى تطور النثر الفني .

هذا ما بدا لي أن أعقبه على البحث الطريف الذي كتبه الاخ الدكتور متمنيا له كل الموفقية والنجاح .

- ٣ -

شمامة العنبر والزهر المعنبر

محمد بن مصطفى الفلامي

١١٢٠ ــ ١١٨٦هـ

تحقيق

الدكتور سليم النعيمي

مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

من الكتب الادبية التي ألفت في القرن الثاني عشر للهجرة ، أظهر فيه المؤلف براعته في اللغة والكتابة ، بأسلوب يمثل ما كانت عليه الكتابة في عصره : اختيار الالفاظ ، ومحسنات بديعية ، وسجع متكلف يتضاءل فيه المعنى ، وليس فيه من أخبار من كتب عنه الا قليلا من شعرهم أو نثرهم وبعض ما كان له معهم من مراسلات ، وهو بطريقته يشبه كتاب « الروض النضر لعثمان الدفتري العمري » الذي حققه ونشره الدكتور سليم النعيمي محقق الشمامة . فالكاتبان متعاصران(٢٧) ، وموضوعهما واحد في اظهار مقدرة الكاتب ، وقلة أخبار من تكلما عنه : ولادته ، نشأته ، دراسته ، آثاره ... الخ ، فالكتابان كتاب واحد ، الا ان الشمامة تفوق النضر في هذا ، ومثل هذه الكتب تفيد الباحث فتطلعه على الاسلوب الذي عاناه الكتاب في ذلك العصر ، ليظهروا تفوقهم في اللغة والكتابة .

وكان المرحوم الاستاذ محمد رؤوف الفلامي قد عرف بالشمامة ومؤلفها بكتابه «العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الفلامي » صاحب شمامة العنبر والزهر المعنبر(٢٨) ، تكلم فيه عن عصر المؤلف ، وحياته نظمه ونثره ، ونوعه بالبديع ، صلته بالاشخاص الذين تكلم عنهم مؤلف الشمامة ، واتى من الشمامة بنماذج مما قاله المؤلف عن كل منهم ، وما كان بين المؤلف وبين من كتب عنه من مراسلات ومساجلات أدبية ، كما جمع من شعر مؤلف الشمامة في اختلاف الاغراض ، وعلق في الحواشي على تراجم الاشخاص الذين تكلم عنهم ، فكان الكتاب مرجعا جامعا يسهل التناول للمحقق ، ولم نجد في مقدمة المحقق أكثر مما في هذا الكتاب ، اللهم الا بعض الامور التي استدرك عليها .

والدكتور سليم النعيمي بعد ان أنتهى من تحقيق الروض النضر حقق الشمامة ، ولم يأت بجديد ، لان أكثر الاشخاص الذين تكلم عنهم الفلامي في الشمامة ذكرهم الدفتري في الروض النضر(٢٩) ، وأرى لو أنه اكتفى بتحقيق الشمامة فانها كانت تغني بالقصد ، لان فيها صورة جميلة لما كان عليه النثر اذ ذاك ، كما أن التعليقات التي أضافها المحقق في الشمامة منقولة عما علقه في الروض النضر ، واضاف اليها بعض ما ذكره صاحب الروض النضر ، وكان في وسعه ان يشير الى هذا ولا يكرر طبعه في الشمامة ، فيريح نفسه من عناء النقل ، فالروض النضر حديث عهد بالنشر ، ومتوفر بالمكتبات ومن السهل الرجوع اليه .

واو ان المحقق ــ كما قدمت ــ اكتفى بتحقيق أحد الكتابين فان أحدهما يغني عن الآخر ، وحقق غيره من الكتب المفيدة التي تؤرخ لهذه الفترة : كالدر

---

(٢٧) عثمان العمري المعروف بالدفتري ١١٣٤ــ١١٨٤ هـ ومحمد الفلامي مؤلفا الشمامة ١١٢٠ــ١١٨٦ هـ .

(٢٨) طبع في الموصل سنة ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٢ م .

(٢٩) كتب الفلامي عن اربعين شخصا من اهل الموصل ، وهم ممن تكلم عنهم الدفتري ، وفي الشمامة ايضا عشرة من اهل بغداد وحلب والقدس .

المكنون في مآثر الماضية من القرون ، ومنهج الثقات في تراجم القضاة ، وعنوان الشرف ، وغيرها من الكتب التأريخية التي ألفها ياسين بن خيرالله الخطيب العمري ، أو غيره ، فانها أكثر فائدة من تحقيق كتابين متشابهين ، ومهما يكن من أمر فان المؤلف بذل جهدا في تحقيقه . ومما لاحظته في مقدمة المحقق :

جاء في (ص : ٦) عند كلامه عن فتنة علي أفندي المفتي قال : « وفي تلك الفتنة قال المصنف على لسان استاذه يوسف النائب :

ومن العجائب أن لي صبرا على هذي العجائب
ومن النوائب انني في مثل هذا الدهر نائب

فالبيتان لابي العلاء المعري ، كما جاء في : الغيث المنسجم في شرح لامية العجم (١ : ١٥٩) وليس هما لمؤلف الشمامة .

وجاء في (ص : ١٠ ــ ١٢) عن تصوف المؤلف : « فانصرف الى التصوف يدرسه على الشيخ العالم الزاهد عبدالله الربتكي المتوفي سنة ١١٥٩ هـ ، وراح يتعمق في دراسة التصوف حتى انه ألف كتابا في شرح الكبريت الاحمر للشيخ محيي الدين بن العربي ، سماه «نثر الجوهر شرح الكبريت الاحمر للشيخ الاكبر » وصحب شيوخ المتصوفة المعاصرين له ، كالشيخ عبد الرحمن الملقب بالمسلم الموصلي ، وعطاء الحديثي وغيرهما من المشائخ والعلماء الذين لهم وقوف على التصوف »(٣٠) .

فصحبته لهم لا تعني انه كان متصوفا ، كما ان الشيخ عبد الوهاب بن حسن الامام في جامع النبي جرجيس لم يكن متصوفا ، وكذا الجفعترى والربتكي وغيرهم من العلماء ممن كانت لهم معرفة تامة بلسان القوم واحوالهم ، فانهم لم يسلكوا طريق التصوف ،ولم يذكر أحدعنهم أنهم انتسبوا الى طريقة من الطرق الصوفية التي كانت في عصرهم .

نحن لا ننكر أن المؤلف صحب بعض المشائخ وبعض العلماء الذين لهم علم بالتصوف ، وحضر مجالسهم ، وشارك في سماعاتهم وما ينشدونه من تنزيلات ومدائح نبوية ، ذلك لميله الى الانشاد، ولعه بالموسيقى الطرب منذ نشأته الاولى ، ولكنه مع هذا كله كان بعيدا عن سلوك طرق التصوف وما يتطلبه من مجاهدة وتقشف وصبر وانقطاع ــ وهو نفسه يقر بأنه لم يصل قط في حياته ، فكيف يسلك طريق التصوف من لم يؤد فرض الصلاة ؟

جاء عنه في الدر المكنون في حوادث سنة ١١٨٦ هـ : « وفيها توفي ملا محمد بن مصطفى أفندي الفلامي ، صاحب شمامة العنبر ، وكان قد اعتراه مرض سوداوي ، وكان يفسر سورة الماعون في اهل محلته فيقول : « أرايت الذي يكذب بالدين » هو قاسم عبدال . « فذاك الذي يدع اليتيم » علي أفندي الفلامي ، مفتي الشافعية، « ولا يحض على طعام المسكين » عصمان درباس ، « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » ذاك أنا ، لانه ما صلى في عمره . « الذين هم يراؤون » ذاك ملا أحمد كاتب العربية « ويمنعون الماعون » ابراهيم اغا بكتش .

فالمحقق اقتبس هذا مما ذكره الاستاذ محمد رؤوف الفلامي في كتابه العلم السامي ، ولم يقف على ما ذكره غيره من معاصرين ، فنقل الخبر من غير أن يرجع الى المصادر الاخرى التي لم تتوفر للمرحوم الاستاذ محمد رؤوف الفلامي ، كما أن المحقق لم يشر الى المصادر التي عول عليها في تصوف صاحب الشمامة .

فالوقوف على علم التصوف وحضور مجالس السماع والانشاد والتأليف فيه لا يعني انه سلك طريق القوم في الزهد والمجاهدة وكبح جماح النفس وقيام الليل وما يتطلبه الشيخ من مريده الذي ينتسب الى طريقته .

وخير مثال لنا الدكتور زكي مبارك الذي ألف مجلدين في التصوف الاسلامي ، فهل انه كان صوفيا ؟ أم انه كان مع التصوف على طرفي نقيض ؟

وذكر في (ص : ١٠) عند كلامه عن المؤلف : « ألف كتابا في شرح الكبريت الاحمر للشيخ محيي الدين بن العربي ــ فابن العربي هو محمد بن عبدالله ابن محمد المعافري القاضي المشهور (٤٦٨ ــ ٥٤٣ هـ) وله مؤلفات كثيرة .

وأما الشيخ الاكبر محمد بن علي بن محمد الحاكمي الطائي فانه يعرف بابن عربي ؛ تمييزا له عن ابن العربي المتقدم ذكره .

وذكر المحقق في (ص : ١٠) عن المؤلف : « ولم يكن يرى التكسب في شعره ، فلا نراه في

(٣٠) انظر المشائخ والعلماء الذين اتصل بهم في الصحيفتين المشار اليهما اعلاه .

هذه الفترة من شبابه يمدح أحدا الا الحاج حسين باشا الجليلي في عدة قصائد » .

والذي نراه أنه كان كثير المدح والتهاني في المناسبات ، كشعراء عصره ، يؤيد هذا ما ذكره المحقق نفسه (ص : ١٦–١٧) أنه مدح الحاج حسين باشا الجليلي ، وابنه محمد أمين باشا الجليلي ، وله ديوان خاص في مدحه ، سماه « العقد الثمين في مدائح الامين » ، وله ديوان آخر في مدح عبد الفتاح باشا الجليلي ، اسمه « ضوء الصباح في مدح الوزير عبد الفتاح » . وذكر المحقق (ص : ٢٢) وقد جمع المرحوم الاستاذ محمد رؤوف الغلامي اكثر شعره في كتابه « العلم السامي » ، وان لم يستوفه كله ، واكثر شعره في المديح والتهاني . ونقل المحقق في نفس الصفحة عن منهل الاولياء : « ان ابراهيم بن محمد امين بك آل ياسين افندي المفتي ، طلب اليه ان يمدحه ، فمدحه الغلامي في قصيدة ، ولما أخذ ابراهيم بك يماطله في الصلة ، أرسل اليه الغلامي يطلب منه القصيدة » .

وجاء عنه في منهل الاولياء (١ : ٢٥٤ –٢٥٥): « وغلب عليه الشعر ، فكان مكسبه وراس ماله ومتجره ، ومدائحه في ملوك الموصل كثيرة جدا ، وكلها رائق معجب مع حسن صوغ وجودة سبك، وكذا مدائحه في غيره » .

كل هذه النصوص التي ذكرها المحقق نفسه تؤيد أنه كان كشعراء عصره ، يمدح ويهني وينظم في المناسبات ويتكسب في شعره ، ويطلب الصلة على مدحه ، وربما طلب اعادة القصيدة التي مدح بها اذا تأخرت الصلة كما فعل مع ابراهيم آل ياسين افندي المفتي .

وجاء في (ص : ٥١) عند كلام المحقق عن مدرسة جامع النبي يونس عليه السلام : « وهي قديمة ، أنشأها ابراهيم الختني وزير تيمورلنك حين جدد عمارة بناءي النبي يونس والنبي جرجيس مع توسيعهما ، وفتح مدرسة في كل منهما، وحبس املاكا عليهما ، يتولاه العمرية » .

ان ابراهيم الختني لم يكن وزيرا لتيمورلنك، كما انه لم يعاصره ، فالختني وسع جامع النبي يونس سنة ٧٦٧ هـ ، كما جاء في الوقفية التي كتبها ، وكما نرى هذا من الكتابة التي حول المحراب الذي أقامه الختني .

اما تيمورلنك فانه استولى على الموصل مرتين ، سنة ٧٩٦ هـ ، ثم سنة ٨٠٤ هـ ، وولى عليها شخصا من قبله يسمى حسين بك بن حسين ، وبقى هذا واليا على الموصل الى سنة ٨٢١ هـ ، وأمره ان يبني قبتين فوق قبري النبي يونس والنبي جرجيس ولم ينشيء مدرسة في كل من الجامعين .

اما المدرسة التي في جامع النبي يونس فلم نقف على ذكر من شيدها ، واقدم نص عثرنا عليه : أن مراد بن عثمان العمري المتوفي سنة ١٠٩٢ هـ كان يدرس فيها ، ثم يستمر ذكرها الى اليوم . لقد بسطنا القول عن جامع النبي يونس والمدرسة التي فيه ومن درس فيها في كتاب : (جوامع الموصل » ص : ٧٣–١٠٧ . وفي سومر : ١٨ : ٧٢ – ٧٤) .

اما مدرسة جامع النبي جرجيس فان تيمورلنك لم يأمر بانشائها ايضا ، واقدم ذكر لها ان : محمود أفندي بن عبد الوهاب المتوفي سنة ١٠٨٢ هـ درس فيها ، وهي ومدرسة النبي يونس من انشاء الدولة العثمانية . أما تولية الجامعين فلم تكن للعمرية كما ذكر المحقق ، وانما ولى تيمورلنك على الجامعين نقيب الموصل نصير الدين عبيدالله بن أبي المحامد ، وجعل أخاه فتح الله ناظرا على الوقف(٣١) .

وذكر المحقق في (ص : ١٨٩) عن الشيخ عبد الله الربتكي: «وكان يحب علمي الحديث والتفسير ويكره علم الحكمة » .

كان الربتكي يدرس اختلاف العلوم والآداب والحكمة ، وله في المنطق منظومة «ضابطة الاشكال» ، ولكنه انقطع في آخر حياته عن تدريس الحكمة ، وقال لتلميذه موسى الحدادي : « يا بني قد ذهب العمر في هذه الفنون وأرى أن اكف عنها ، فان قولي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان اولى واجدر بي من قول قال أرسطو »(٣٢) .

وفي الكتاب ألفاظ كان يستحسن التعريف بها ، مثل ما ورد في (ص : ١٠) قول المؤلف :

وتركنا لكم لذيذ طعام
وقنعنا من سلقها بالسليقة

السليقة حنطة تسلق في قدر كبير ، ثم تجفف

---

(٣١) سومر : ١٠ : ٢ :
(٣٢) انظر ترجمة الشيخ عبدالله الربتكي في مجلة المجمع العلمي الكردي (٢:٢:٢٢٣–٢٢٨) .

ويتخذ منها البرغل وهي ابسط انواع الطعام .
وفي (ص : ٢٣) قول المؤلف :

مابين قلعتها وباب سرايها
باغ يموت والف طاغ يخنق

المراد بالقلعة هنا : هي ايج قلعة ـ القلعة الداخلية التي انشأها الاتراك العثمانيون عندما احتلوا الموصل ، تجاور سوق الميدان الحالية(٣٣).

وسرايها : اي السراي ـ محل الحكم ـ الذي يكون فيه مقر الوالي ، وكانت على الارض التي انشيء عليها عمارة مصرف الرافدين ظاهر باب السراي ، احد ابواب مدينة الموصل(٣٤) .

وفي (ص : ١١٣) علق المحقق على ترجمة يحيي افندي فخري زاده المفتي : « ويقال انه كان يعطي في كل يوم ثلاثين راتبا . »

المراد بالراتب الذي ذكره هنا : كان الاغنياء والمتمولون يقدمون الطعام كل يوم لطلاب المدارس الدينية ، فوجبة الطعام للطالب تسمى « راتب »، يأتي الطالب الى صاحب الدار ويفرفون له من طعامهم ، وبعضهم كان يقدم لطالبين او اكثر ، ويسميه اهل الموصل « راتب الفقي » اي الفقيه الذي يدرس في المدارس الدينية .

وعلق في (ص : ٣٠٤) على ترجمة الشيخ عطاء الله الحديثي قوله : « ينسب الى محلة في الموصل سكنها قوم من اهل الحديثة » .

هذه المحلة تجاور محلة باب المسجد ، تقع في غربيها ، والحديثيون هم من حديثة الفرات لا من حديثة الموصل .

وقال المؤلف في (ص : ٣١٦)

بالدير يوما ويوما بالامام وبال
مشارق يوما ويوما عين صفراء

ولم يشرح المحقق هذه المواقع .

الدير : هو دير سعيد ، جنوبي معسكر الفزلاني ، وكان من منتزهات الموصل في الربيع، ويسمى اليوم الدير الخربان .

الامام : هو مشهد الامام يحيى بن القاسم الذي بناه بدر الدين لؤلؤ في القلعة الاتابكية سنة ٦٣٠ هـ على دجلة ، وكان من منتزهات الموصل في الربيع أيضا .

الشاروق : مباقل صيفية يتخذها اهل الموصل على دجلة ، ويزرعون بها الازهار والرياحين ويقصدونها في الاماسي وبعضهم يبيتون بها(٣٥) .

عين صفراء : احدى الينابيع الحارة في حمام العليل ـ حمام علي ـ

وفي الكتاب كلمات اخرى تستحق التعريف بهـا .

هذه ملاحظات ادونها على كتاب الشمامة ، أؤمل أن تنال رضا محققها الدكتور سليم النعيمي الذي بذل جهده في تحقيقها .

---

(٣٣) سومر : ١٠ : ١ :
(٣٤) سومر : ٢ : ١ : ١٢٧ .
(٣٥) انظر عنها : الموصل في العهد الاتابكي : ٨٢ ـ ٨٣ .